لم يفطن البيزنطيون لأهمية الغرب اللاتيني منذ سقوط روما على يد أدواكر *Adoaker* عام ٤٧٦م إلا في عهد الإمبراطور جستنيان *Justinian* (٥٢٧- ٥٦٥م)، الذي حاول استعادة الشطر الغربي من الإمبراطورية الرومانية، ولكن سرعان ما زالت سيادة الشرق على الغرب بوفاته، ثم دخل البيزنطيون في صراع مع العرب خلال القرنين السابع والثامن الميلاديين، جعلهم يصرفون جل جهدهم نحو الشرق، ولم يفق البيزنطيون لما يجرى في الغرب إلا عندما قام البابا ليو الثالث *Leo III* (٧٩٥- ٨١٦م) بتتويج الملك الفرنجى شارلمان *Charlemagne* (٧٦٨- ٨١٤م) إمبراطوراً على الغرب في ليلة عيد الميلاد عام ٨٠٠م.

ومنذ تلك اللحظة نشب النزاع بين الإمبراطورية البيزنطية (الوريثة الشرعية لعرش قسطنطين الأول *Constantine I* (٣٠٦- ٣٣٧م) وفقاً لحق الوراثة)، وبين الإمبراطورية الرومانية الغربية (الوريثة الشرعية لعرش الرومان وفقاً لحق التتويج)، كما روج البيزنطيون لنظرية الإمبراطور الروماني الأوحد، والذي يتمثل في الإمبراطور البيزنطي، لأن أراضيه هي أراضى الرومان، ومن حقه أن يكون إمبراطوراً للرومان في كل أنحاء العالم المسيحي، باعتباره الوريث الشرعي للإمبراطورية الرومانية القديمة، التي نقل قسطنطين الأول عاصمتها إلى القسطنطينية بدلاً من روما، إلا أن تلك النظرية تحطمت مرة أخرى ، عندما اتجه أوتو الأول *Otto I* (٩٣٦- ٩٧٣م) ملك ألمانيا صوب روما، وتلقى التاج الإمبراطوري من البابا يوحنا الثاني عشر *John XII* (٩٥٥- ٩٦٤م) في الثاني من فبراير عام ٩٦٢م، ولم يكتف أوتو الأول بذلك، بل اتجه إلى جنوب إيطاليا لفرض سيطرته على الثيمات البيزنطية هناك، فنشب النزاع بين الجانبين البيزنطي والألماني منذ ذلك الحين، وحتى بداية النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي.

من هنا كان اتجاه الباحث إلى اختيار موضوع الدراسة: "**العلاقات البيزنطية الألمانية ٩٦٢- ١٠٥٩م**"، فالحدود الزمنية التي تشغلها تلك الفترة تقع بين حادثين هامين من الناحية التاريخية، الأول هو تتويج أوتو الأول إمبراطوراً على يد البابا يوحنا الثاني عشر في روما عام ٩٦٢م، وما ترتب عليه من صراع بين البيزنطيين والألمان في جنوب إيطاليا، أما الحادث الآخر وهو مرسوم ميلفي *Melfi* عام ١٠٥٩م، الذي أعلنه البابا نيقولا الثاني *Nicholas II* (١٠٥٨- ١٠٦١م)، حيث أعطى البابا الحق للنورمان في السيطرة على الأراضي البيزنطية في جنوب إيطاليا مقابل الدفاع عن البابوية ضد الأباطرة الألمان والنبلاء الرومان في روما.

والعلاقات البيزنطية – الألمانية خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين علاقات متداخلة ومتشابكة، لم تتوقف عند حد المعارك الحربية في جنوب إيطاليا، وما نتج عنها من بعثات دبلوماسية بين الجانبين لتهدئة نار الحرب بينهما، ولكن أخذت مساراً آخر تمثل في إقامة علاقات ثقافية وفنية ودينية، وكذلك علاقات تجارية.

هذا وقد تم تقسيم البحث إلى أربعة فصول، تسبقهم دراسة لأهم مصادر البحث، ثم تمهيداً له، ويعقبهم الخاتمة والخرائط والملاحق وقائمة المصادر والمراجع، وقد جعلت الفصل التمهيدي وعنوانه: "**العلاقات البيزنطية – الألمانية قبل عام ٩٦٢م**" استعراضاً للعلاقات البيزنطية الألمانية خلال العقدين الخامس والسادس من القرن العاشر الميلادي من خلال السفارات بين الجانبين، وبزوغ الفكرة الإمبراطورية لدى الألمان، أما الفصل الأول وعنوانه: "**الأطماع الألمانية في إيطاليا ورد الفعل البيزنطي ٩٦٢- ٩٧٣م**"، فقد عرضنا فيه لتتويج أوتو الأول إمبراطوراً في روما في الثاني من فبراير عام ٩٦٢م من حيث الأسباب والنتائج، كما عرضنا لحملات أوتو الأول على جنوب إيطاليا منذ عام ٩٦٦م وحتى عام ٩٧٠م، بالإضافة إلى عرض السفارات الدبلوماسية بين الجانبين، وخاصة سفارة ليودبراند أسقف كريمونا إلى القسطنطينية عام ٩٦٨م، وزواج أوتو الثاني من الأميرة البيزنطية ثيوفانو.

أما الفصل الثاني وعنوانه: "**اضمحلال السلطتين البيزنطية والألمانية في إيطاليا ٩٨٠- ١٠١٤م**"، وعرضنا فيه لحملة أوتو الثاني على الثيمات البيزنطية في جنوب إيطاليا فيما بين ٩٨٠- ٩٨٢م، والتي أسفرت عن هزيمة الألمان على يد مسلمي صقلية في معركة ستيلو *Stilo* عام ٩٨٢م، كما عرضنا لمشروع أوتو الثالث في روما لإحياء الإمبراطورية الرومانية في الغرب؛ وما نتج عنه من الاضطرابات التي اجتاحت الممتلكات الألمانية وخاصة إيطاليا، كذلك تم عرض الثورات اللمباردية التي قامت في إيطاليا ضد كل من البيزنطيين والألمان.

أما الفصل الثالث وعنوانه: "**النورمان بين البيزنطيين والألمان في جنوب إيطاليا (١٠١٧- ١٠٥٩م)**" فيعرض لنا ظهور عنصر النورمان في الجنوب الإيطالي، وتحالفهم مع كل من البيزنطيين أو الألمان خلال الربع الأول من القرن الحادي عشر الميلادي، ثم عرضنا لتعاظم قوة النورمان وتحالف كل من البابوية والألمان والبيزنطيين ضدهم، وهزيمة هذا التحالف على يد النورمان في معركة كيفيتاتي عام ١٠٥٣م، وما نتج عن تلك الهزيمة من انفصام عرى التحالف بين الشرق والغرب، وكذلك الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية، مما أدى إلى اتخاذ البابوية حليفاً جديداً لها ضد الألمان والبيزنطيين تمثل في النورمان وذلك عام ١٠٥٩م.

يأتي الفصل الرابع وعنوانه: "**العلاقات الحضارية بين البيزنطيين والألمان**" ليستعرض لنا العلاقات التجارية بين الجانبين، وكذلك العلاقات الثقافية، وانتقال اللغة اليونانية وانتشارها في

ألمانيا، بالإضافة إلى انتقال أغراض الفن البيزنطي إلى ألمانيا، مثل الصور والعاجيات المنحوتة وقطع النسيج، واختتم الفصل بإشارة إلى صورة كل من الألمان والبيزنطيين في نظر الآخر.

وبعد استعراض العلاقات البيزنطية – الألمانية خلال الفترة (٩٦٢– ١٠٥٩م) أمكن الخروج بالعديد من الدلالات والنتائج الآتية:

أولاً: لم تكن سياسة أوتو الأول تجاه إيطاليا مجرد رغبة استعمارية، وإنما تحركاً احترازياً لمواجهة الخطر المتنامى لقوة النبلاء الإقطاعيين في ألمانيا، وهو الخطر الذي بدأ يلوح في الأفق بعد محاولة كل من ليودولف دوق سوابيا وهنرى دوق بافاريا السيطرة على المملكة اللمباردية شمال إيطاليا عام ٩٥٠م، مما يعنى إضعاف سلطان أوتو الأول في الجنوب الألماني والشمال الإيطالى، فاضطر إلى القيام بحملة على شمال إيطاليا خلال العام التالى لإعادة ترتيب الأوضاع هناك، والقضاء على ثورة النبلاء في الجنوب الألماني عام ٩٥٥، ورغبته في تحطيم سطوتهم من خلال الاستعانة برجال الدين الألمان، ولكنه ما فتئ أن اكتشف رغبة رجال الدين في الهيمنة على السلطة في ألمانيا، فما كان منه إلا أن تحالف مع البابوية ليكون له اليد الطولى في السيطرة على الكنائس الألمانية وأوقافها لتموين جيوشه.

ثانياً: لم يكن التتويج الإمبراطوري لأوتو الأول على يد البابا يوحنا الثاني عشر في روما عام ٩٦٢م إلا حلقة من حلقات السياسة الملكية في ألمانيا للسيطرة على الكنيسة الألمانية وإحكام القبضة على الأفصال العلمانيين، وإن كانت الدعوة قد جاءته من البابوية، إلا أنه لم يكن يفكر في بادئ الأمر في الصدام مع الإمبراطور البيزنطي سواء على اللقب الإمبراطوري أو على الأرض، ولكن الظروف هى التي دفعته إلى فعل ذلك، حيث كانت البابوية تضع الملوك الألمان بين السندان والمطرقة، فهي تغويهم من ناحية باللقب الإمبراطوري والسيادة على العالم المسيحي في غرب أوربا، ومن ناحية أخرى تطالبهم بالسيطرة على الأراضي والأوقاف الكنسية في الأراضي التابعة للسيادة البيزنطية جنوب إيطاليا، مما أوقع الألمان في مأزق مع الإمبراطورية البيزنطية.

ثالثاً: فرض التجديد الإمبراطوري في الغرب على الملوك الألمان سياسة التضحية بالدولة على سبيل إرضاء الكنيسة، وأجبرتهم في النهاية على ترك الميدان والانزواء إلى الظل، وسمحت للبابوية بالتدخل المباشر في الشئون الداخلية لألمانيا، كذلك أجبر اللقب الإمبراطوري الملوك الألمان على ترك قوة عسكرية ألمانية كبيرة في إيطاليا، مما ترك أثره البالغ على ألمانيا نفسها، فلقيت الجيوش الألمانية العديد من الهزائم على يد أعدائها،

إلى جانب نشوب الكثير من الثورات الداخلية من جانب النبلاء الإقطاعيين، مما أشاع الفوضى في كل الأرجاء الألمانية.

رابعاً: حاول الأباطرة الألمان التخفيف من حدة العداء مع الإمبراطورية البيزنطية، فقاموا بالتفاوض مع الجانب البيزنطي للحصول على الأميرات البيزنطيات وليدات الأرجوان، إلا أن تلك المحاولات كانت تقابل من الجانب البيزنطي بالرفض تارة، أو بالمماطلة تارة أخرى، أو بإرسال أميرة ليست وليدة الأرجوان مثلما حدث مع أوتو الثاني الذي تزوج من الأميرة البيزنطية ثيوفانو سليلة عائلتي سكليروس وفوقاس النبيلتين.

خامساً: كان ظهور عنصر جديد مثل النورمان الطموحين في إيطاليا له دور هام في إنهاء الصراع البيزنطي- الألماني على الأراضي الإيطالية خلال الربع الثالث من القرن الحادي عشر الميلادى، من خلال التهام ما تبقى من أملاك الإمبراطورية البيزنطية في جنوب إيطاليا، وتحطيم التحالف الألماني- البابوي، والتحالف مع البابوية التي رحبت بذلك حتى تتخذ موقفاً أكثر استقلالاً عن البيزنطيين والألمان.

سادساً: على الرغم من وصول العلاقات السياسية بين الجانبين البيزنطي والألماني إلى نفق مغلق، إلا أن العلاقات الحضارية بينهما لم تتوقف خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، فانتقلت البضائع بين الجانبين عبر البر والبحر، كما انتقلت الأغراض الفنية البيزنطية إلى ألمانيا مع الرهبان البيزنطيين الهاربين من جنوب إيطاليا إلى غرب أوربا، بالإضافة إلى تأثر نظام العمارة الكنيسة الألمانية بالطراز البازيليكى ذي القبة الوسطى، فانتشر هذا الطراز في كل الأراضي الألمانية، وذلك نتيجة لانتقال الكثير من الصناع والفنانين البيزنطيين إلى ألمانيا، الذين نقلوا الكثير من أسرار الفن البيزنطي إليها خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، ولكن لم يكن الفنان الألماني مقلداً للنموذج البيزنطي في كل الأحوال، بل ظهرت المسحة الكارولنجية الكلاسيكية في الفن الألماني، والتي تطورت خلال تلك الفترة ليظهر لنا أسلوباً جديداً في الفن الألماني تمثل في الأسلوب الأوتونى.

سابعاً: زاد الاهتمام باللغة اليونانية في ألمانيا منذ النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، وذلك لانتقال ثيوفانو وحاشيتها إلى ألمانيا عام ٩٧٢م، كذلك لاهتمام العائلة الأوتونية بتعلم اللغة اليونانية، وجمع الكثير من المخطوطات اليونانية في شتى العلوم، وخاصة في المجال الديني، بالإضافة إلى الدور الهام للرهبان البيزنطيين الذين انتقلوا إلى ألمانيا حاملين معهم الكثير من الكتب الدينية بالخط اليوناني، كما حاول الكثير من رجال الدين الألمان تعلم اللغة اليونانية ومقارنتها باللغة اللاتينية مثل القس الألماني فوريومونت التجرنسى.

وقد اعتمد البحث على أربع مجموعات من المصادر التاريخية وهي: المصادر البيزنطية واللاتينية، ثم تأتى بعد ذلك بعض المصادر الإسكندنافية والعربية.

أما عن المصادر البيزنطية: كتاب والى المدينة *Eparchion Biblion*، وكتابات قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس *Constantine VII Porphyrognetus* "عن الإدارة الإمبراطورية" *De Administrando Imperio*، وكتابه "عن المراسم البيزنطية" *De Cerimoniis Aulae Byzantinae* وكتابه "عن الثيمات" *De Thematibus*، وخطابات ليو السينكيلوس *Leo Syncellus*، وحولية يوحنا سكيليتزس *I. Scylitzes*"مجمل التواريخ" *Συνοπις ιστοριων* ، وكتاب المتمم لحولية ثيوفانيس *Theophanes Continuatus* ، وكتاب ليو الشماس *Leonis Diaconus*، وحولية ميخائيل بسللوس *Michael Psellus*،و "حولية كمبردج" *Chronique de Cambridge* ، وكتاب جورج الراهب *Georgius Monachus* عن "حياة الأباطرة المعاصرين" *Vitae Imperatorum Recentiorum* ، وكتاب ليو الشماس *Leonis Diaconus*.

المصادر اللاتينية: أعمال ليودبراند أسقف كريمونا *Liudprand of Cremona*، وكتابات فيدوكند *Widukind* راهب دير كورفي *Corvey* عن " أعمال الملوك السكسون" *Res Gestae Saxonicae* ، وخطابات جيربيرت الأوريلاكي *Gerbert of Aurillac*، وحولية ثيتمار أسقف مرسبرج *Thietmar of Merseburg*، وكتاب فيبو *Wipo*عن "أعمال كونراد الثاني" ،وكتاب أوتو أسقف فرايزنج *Otto of Freising* "المدينتان" *The Two Cities*، و"مجموعة الوثائق الخاصة بالإمبراطور أوتو الأول" والمنشورة في مجموعة *PL*، الجزء ١٣٨، كذلك "مجموعة وثائق البابا ليو الثامن *Leo VIII* والمنشورة في المجموعة السابقة، الجزء ١٣٤، "وحوليات فلودوارد الريمزى" *Flodoard of Rehims* ، و "الحولية البندقية" *Chronicon Venetum* ليوحنا الشماس *Ioannes Diaconus*، و "سيرة بورخارد أسقف فرمز" *Burchard of Worms*، و"حوليات كفيدلنبرج" *Quedlinburg Annales* و "حوليات هيلدسهايم" *Hildesheim Annales* ، و"حوليات فيزمبرج" *Weissemburg Annales*، و"حولية لامبرت" *Lamberti Annales* ، و"الحولية العالمية" *Chronicon Universale* لإيكهارد *Ekkehard* ، و "كتاب التاريخ" لردولف جلابر *R. Glaber* كذلك "حوليات بارونيوس" *Baronius*، و"وثائق هنرى الثاني الخاصة بتنظيم البلاط الملكى في بافيا" و المنشورة في مجموعة *MGHss* الجزء ٣٠، وأخيراً كتاب "تاريخ أسقفيات هامبورج وبريمن" لآدم أسقف بريمن *Adam of Bremen*.

وتأتى المجموعة الثالثة من المصادر، ألا وهى المصادر الإسكندنافية مثل ساغا هارولد هاردرادا *Saga of Harold Hardrade*.